منهجيّةُ التّأليفِ عند المحُدّث يُوسفِ البحرانيِّ

دراسةٌ وتقويم

الاستاذ المساعد الدكتور

جاسِم فريّح دايخ التّرابيّ

كلّيّة التّربية للعلومِ الإنسانيّة – جامعةُ واسط

jassmq2016@gmail.com

الملخص

الشّيخ يوسف البحرانيّ من علماء كربلاء في الفقه، له تأليفاتٌ في غايةِ الإتقانِ، ألّفَ في مختلفِ صنوفِ العلمِ، وأفانينِ المعرفةِ، لذلك ارتأيتُ دراسةَ منهجَهُ في التّأليفِ، مُقوّماً لهذا المنجزِ، متعرّضاً لمواطنِ الزّللِ، مُشيداً بمواطنِ القوةِ، حتّى تتكونَ عند المتلقّي صورة من منهجية التأليف عنده.

وقد أدرْتُ بحثِي على تمهيدٍ ومطالب متعددة، وتوصّل البحث إلى جملة من النّتائج منها أنَّ منهجيّةُ التّأليف عند الشيخ يوسف البحرانيّ واضحة المعالمِ، متنوعة المشارب. والوحدة العضويّة فيما بَحَثَه من الموضوعات ظهرت متميِّزةً مبدِعةً. الباعثُ الرّئيسُ على تأليفِ مُعْظَم كتبه مختلفة العللِ؛ فمنها معرفيٌّ، وبعضها تحقيق حاجة لبعضهم، وبعضها لردِّ شبهات عقديّة، أو مواجهات علميّة.

الكلمات المفتاحيّة: البحراني، مناهج التأليف، الحدائق الناضرة.

The methodology of authorship by the hadith scholar Yusuf Al-Bahrani

Study and evaluation

Prof. Jasem Furaieh Dayikh Al-Turabi

College of Education for the Human Sciences Wasit University

Abstract

Sheikh Yusuf al-Bahrani is one of Karbala's scholars of jurisprudence. He made very masterful publications, as he wrote in various fields of knowledge. Therefore, I decided to study his method of authorship, evaluating this achievement, subjecting the defections, praising the strengths, so that the recipient would form an image of his authorship methodology.

I conducted my research on a prelude and multiple demands. The research reached a set of results, some of which that the authoriship methodology of Sheikh Yusuf al-Bahrani has clear features and a variety of orientations. The primary motivations behind most of his productions are of various causes; some of them are cognitive, and some are to fulfill a need for some of them, while the third of them is to respond to ideological suspicions, or for scientific confrontations.

Key words: Al Bahrani, Curriculum of Authorship, Fresh Gardens.

المقدّمة

الحمدُ لله الـذي مَـنَّ على ذوي الألبابِ بسحرِ البيانِ، وشَرَّفهم بفصاحةِ اللّسانِ والصّلاةُ والسّلامُ على خاتمِ أنبيائِه وسيّد أوليائه، الذي آتاهُ اللهُ الفرقَانَ، وجَعَلَهُ حجّةً على الإنسِ والجانِّ، مُحمّد وعلى آله أئمّة الأنامِ عليهم افضل التحية والسلام.

أمَّا بَعْدُ:

فالشّيخ يُوسفُ البحرانِيّ مِنْ جهابذةِ أهلِ النّظرِ وأربابِ الاجتهادِ، وهو حبرُ مدرسةِ كربلاءَ الفقهيّةِ، ومِن سدنةِ أخبارِ العترةِ الطّاهرةِ، غاصَ على أسرارِ المأثورِ مِن كلامِ المعصومينَ، وأمعنَ في التّنقيبِ، وتقصّى في التّدقيقِ، وقد استبطنَ دخائل العلمِ، واستجلى غوامضَه، وهو متقن لعلومِ الإسـلامِ، عارف بأخبارِ الأئمّةِ الهداةِ، وهو بعدُ حسن التّرسل، بليغ العبارة، مليح النّكتة. له تأليفاتٌ في غايةِ الإتقانِ، ألّفَ في مختلفِ صنوفِ العلمِ، وأفانينِ المعرفةِ، لذلك ارتأيتُ دراسةَ منهجِهُ في التّأليفِ، مقوّماً لهذا المُنجزِ، متعرّضاً لمواطنِ الزّللِ، مُشيداً بمواطنِ القوةِ، حتّى تتكونَ عند المتلقّي صورة من صور التّأليف عند عالمٍ من علماءِ مدرسةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام.

ولعلّ أهمَّ ما يَلْفِتُ انتباهُ المُتخصّص في تراثِ الشّيخِ يُوسف البحرانِيِّ ملمحٌ أسـاسٌ وهـو أنَّ البحرانِيَّ لم يَقْصُرْ منهج التّأليفِ على حقلٍ واحدٍ أو حقلين من حقولِ المعرفةِ، بل رَشَفَ من رحيقِ الكثيرِ مِن العلومِ الإسلاميّةِ ومشى في مناكبِها، وله في كلِّ حقلٍ ممّا سَبَقَ بسهمٍ وافرٍ، فإنَّ هذا ممّا يقلُّ ويَنْزُرُ، بل لا يكادُ يُلمَسُ له وجودٌ في غيرِ تراثِ البحرانِيّ مِن الفقهاءِ، خَلا ما قَد يُلْمَحُ من آثارٍ في مصنَّفَات مَنْ تأثَّرَ بتوجّهه وتَقَيَّلَ منهجَه ممّن جاءَ بَعْدَه، وإنْ لم يستطعْ هؤلاءِ بلورةَ منهجٍ مُطَوَّر لما ورِثوهُ مِن الشّيخِ يُوسف البحرانِيِّ.

وقد أدرْتُ بحثِي على تمهيدٍ ومباحثَ خمسة، جاء التّمهيدُ بعنوانِ (مقدّمات تأسيسيّة) ليكشف نبذةً عن حياةِ العلّامة يُوسف البحرانِيّ، ومفهوم المنهجِ، وجاءَ أوّلُ المباحثِ مُفصحاً عن التّأليفِ في منهجِ الفقهِ الاستدلاليِّ، أما ثاني المباحثِ فخصصته لمنهجِ الرّدودِ والنقود العلميّةِ،،وأمّا المبحثُ الثّالثُ فمحضته لمنهجِ الأمـالي والمجالسِ، ويأتي المبحثُ الرّابعُ في منهجِ الرّسائلِ القصيرة، وخُصص المبحثُ الخامس للتّأليف في المنظومةِ الرّجاليّةِ والحديثيّة، وأتبعتُ ذلك الخاتمةَ الّتي ضمّنتها أهمّ ما توصّل إليه البحثُ مِن نتائجَ، ثُمَّ مسرداً بمصادرِ البحثِ.

أولاً: نبذةٌ مختصرةٌ عن حياةِ الشّيخ يُوسف البحرانيّ

سيكونُ الحديثُ عن حياةِ البحرانيّ مقتضَبًا، لسَبْقِ بعضِ الجهودِ الّتي عُنِيَتْ بهذا الأمرِ:

فهو: يُوسف بن أحمد بن إبراهيم بن عُصفور الدّرازِيّ البحرانِيّ، وُلد في البحرينِ سنة (١١٠٧هـ)، ونشأ وترعرعَ على يدِ والدِه (الشّيخ أحمد بن إبراهيم البحرانِيّ)، وتلقّى منه المعارفَ الأوليّةَ في اللّغةِ والفقهِ والأخلاقِ، وبعد وفاةِ والدِه سنة (١١٣١هـ) سافرَ

إلى مدينةِ القطيفِ لإكمالِ دراستِه الحوزيّةِ، وبقي فيها حقبةً مِن الزّمن، ثم عادَ إلى بلادِه، ولبثَ فيها بضعَ سنين، ثم رجعَ إلى القطيفِ، ثم سافرَ إلى إيرانَ، وحلّ برهة في كرمانَ، ثم إلى شيرازَ حيثُ استقرَّ بها. في سنة (١١٦٩هـ) سافرَ إلى كربلاءَ المُقدسة، وأقام فيها مدّة عشرين عاماً حتّى وافته المنيةُ، ودارتْ بينه وبين الوحيدِ البهبهانِيّ مناظراتٌ في الأبحاثِ العلميّةِ العميقةِ.

يصفه تلميذُه عبدُ الباقي المجلسيّ بالقولِ: (كانَ فاضلاً، عالماً، محقّقا، نحريراً، مُستجمعاً للعلوم العقليّة والنّقليّة)[١]، ويقولُ الشّيخُ جعفرُ سُبحانيّ بحقِّه: (هو المحدّثُ الكبيرُ، والفقيه المتبحّر، الجامعُ بين التّوغّلِ في الحديثِ والإحاطةِ بالفروعِ)[٢]، ذكره أبو علي الحائريّ فقال: (وكانَ هو - قدس سرّه- أوّلاً أخباريّاً صرفاً، ثمّ رجعَ إلى الطّريقةِ الوسطى، وكانَ يقولُ إنَّها طريقةُ العلّامةِ المجلسِيِّ غوّاص بحارِ الأنوارِ)[٣].

وتمتّع العلّامةُ البحرانيّ بشخصيّةٍ علميّةٍ متوازنةٍ غير مغاليةٍ، ومن مظاهرِ موضوعيّته، وعدم تطرّفه في مشربِه العلمِيّ أنَّه جوّز الصّلاةَ خلفَ الوحيدِ البهبهانيِّ، في حين أنَّ الأخيرَ حرّم الصّلاة خلفه، وحين سُئِل الشّيخُ البحرانيِّ عن هذا السّلوك قال: إنّي عملتُ بتكليفي والوحيد البهبهانيّ عملَ بما يقتضيه تكليفه هو، وتلك خصيصةُ العلماءِ الرَّبانيين، ومهارة أولي الخلقِ الرّفيعِ، وتوفّي في الرّابعِ مِن ربيعِ الأوّلِ (١١٨٦هـ)، في كربلاءَ، وصلّى عليه الشّيخُ الوحيدُ البهبهانِيّ، ودُفن بجوارِ مرقدِ الإمامِ الحُسينِ عليه السلام[٤].

ثانياً: مفهوم المنهج

المنهجُ: مَصدرٌ ميميٌّ مِن الفعل (نَهَجَ)، و(النَّهْجُ: الطريقُ الواضحُ، كالمنهجِ والمنهاج، وبالتّحريك: البُهْرُ، وتتابُعُ النَّفَس. والفِعْلُ: كـ (فَرِحَ) و(ضَرَبَ). و(أنهَجَ): وَضَحَ وأوْضَحَ.... و(نَهَجَ) -كـ (مَنَعَ)-: وَضَحَ وأوضَحَ، والطريقَ: سَلَكَهُ)[٥].

أمّا في الإصطلاحِ فهو: مجموعةٌ من الأسسِ والقواعدِ الّتي تهدفُ إلى الكشفِ عن الحقائقِ العلميّة، وإقامةِ الدّليلِ على صحّتِها، أو فسادِها ثانيًا، فلا يتحققُ مفهوم (المنهج) لأيِّ علمٍ مِن العلومِ ما لم يهدفْ إلى وجودِ مرتكزينِ، هما: خطةٌ تهدفُ إلى الكشفِ عن شيءٍ ما، وإقامةُ الأدّلةِ والبرهانِ على صحّةِ ما قدَّمَتْهُ الخطّةُ أو خطئِه. وتطوّر العلمِ مرهونٌ بالمنهج، فكلّما كانتْ هناك خطةٌ مُحكمةٌ كان هناك إمكانُ الوصولِ إلى نتيجةٍ واضحةٍ. وغيابُ المنهجِ يعني غيابَ العِلْم، ولذلك قال الفيلسوفُ (ديكارتُ): (خيرٌ لكَ أنْ تتركَ البحثَ عن الحقيقةِ من أنْ تبحثَ عنها بغَيرِ طريقٍ أو منهجٍ)[٦].

المبحث الأوّل: منهج الفقه الإستدلاليّ

المنهجُ الإستدلاليّ يخاطبُ المجتهدينَ والفقهاءَ وأولي الشّوكة في العلمِ، و(هو المنهجُ الذي يعرضُ الأحكامَ الشّرعيّةَ مع أدلّتِها التّفصيليّةِ مع بحثٍ ونقاشٍ علميٍّ بإبرامٍ أو نقضٍ، ترجيح أو تضعيف، قبول أو ردٍّ، على نحو الإحاطةِ بالرّواياتِ المُسندةِ والمبانيّ المؤيّدة وكثرة الفروع وتشعّبها، بحيث تتمدّد المسائل الفقهيّة على مساحاتٍ واسعةٍ من البحثِ العلمِيّ فتخرجُ عن إطار الكتابِ المحدودِ لتتعدّى

بسعتِها بحراً واسعاً من العلمِ)[٧].

وألّف الشّيخ البحرانيُّ تأليفات مهمّة في هذا المضمارِ، ويقومُ مبنى هذا المبحثِ على أساسِ ذكر كلّ ما وَصَلَ إلينا مِن مُصَنَّفَاتٍ في هذا البابِ، وسنقف عند اثنينِ مِن تلك المصنفاتِ، وهما: الحدائقُ النّاضرةُ في أحكامِ العترةِ الطّاهرةِ، وكتاب الدّرر النّجفيّة في المقتطفاتِ اليوسفيّةِ.

أوّلاً: الحدائق النّاضرة في أحكامِ العترةِ الطّاهرةِ

مِن أمّهاتِ الكتبِ الفقهيّة المُعتبرةِ، وهو كتابٌ في غايةِ النّفعِ، جزيل المباحث، جمُّ الفوائدِ، حسن المنحى، مطرد التّنسيقِ، قريب المنالِ، داني القطوفِ، تلقفه أهلُ الفقهِ بمزيدٍ من الإهتمام، وفاقاً لدقّة مبانيه، وسعة المعارفِ الّتي حواها هذا الكتاب، ويوقفنا البحرانيُّ في هذا الكتابِ على كثرةِ استدلالاته بحديثِ أهلِ البيتِ عليهم السلام، إذ غادرَ في هذا الكتابِ المسارات العقليّة الجافة، فيعطيك مِن رحيقِ العسلِ المصفى، وتستشعر البعد الروحيّ في هذا الكتابِ، ومِن مهارتِه في هذا الكتابِ الإحاطةُ بأقوال العلماءِ ومناقشة آرائهم بمنهجٍ عقليٍّ رصينٍ بعيداً عن التّوهين والإسفافِ، وذلك دليلُ تمكّنٍ في بسط البحثِ الفقهيِّ، ولا يخلو هذا الكتاب مِن التّحقيقِ المتينِ، والتّفصيلِ الأنيقِ، لغةُ الشّيخ البحرانيِّ في هذا الكتاب فخمةٌ، أسلوبُه عالٍ، إستنباطُه ليس فيه ركاكةٌ وإسفافٌ، وهو إضافةٌ مهمّةٌ للمكتبةِ الفقهيّةِ الإماميّةِ.

وقد أثنى المصنِّفُ على كتابِه ثناءً عاطراً حين قالَ: (لم يعملْ مثله في كتبِ الأصحابِ، ولم يسبقْ إليه سابقٌ في هذا البابِ، لاشتمالِه على جميعِ النّصوصِ المُتعلّقةِ بكلِّ مسألةٍ وجميع الأقوالِ، وجملة الفروعِ الّتي ترتبط بكلّ مسألة إلّا ما زاغَ عنه البصر وحاد عنه النّظر)[٨]. إلى أنَّ قالَ: (وبالجملةِ، فإنّ قصدنا فيه إلى أنَّ النّاظر فيه لا يحتاج فيه مراجعة غيره من الأخبارِ، ولا كتب الإستدلالِ، ولهذا صارَ كتاباً كبيراً واسعاً كالبحر الزّاخر باللؤلؤِ الفاخر)[٩].

ولقي كتاب (الحدائق النّاضرة) مزيداً مِن الإهتمام من الفقهاءِ والمحقّقينَ، فهذا العلّامةُ شفيع الجابلقيّ في الرّوضةِ البهيّةِ يقولُ:(الشّيخ المُحدّث المحقّق الشّيخ يُوسف [قُدس سرّه] صاحب الحدائق، فهو من أجلاءِ هذه الطّائفةِ، كثير العلم،حسن التّصانيفِ، نقيُّ الكلامِ، بصيرٌ بالأخبارِ المرويّةِ عن الأئمّةِ المعصومينَ (صلوات الله عليهم أجمعين)، يظهرُ كمال تتبّعه وتبحّره في الآثارِ المرويّةِ بالنّظرِ إلى كتبِه، لاسيّما الحدائق النّاضرة، فإنّها حقيقٌ أنْ تكتبَ بالنّورِ على صفحاتِ وجنات الحورِ، وكلُّ مَن تأخّر عنه استفاد من الحدائقِ النّاضرةِ)[١٠].

قال أبو عليّ الحائريّ في كتابه (منتهى المقال): (هو كتابٌ جليلٌ لم يعملْ مثله جدّاً، جمعَ الأقوالَ والأخبارَ الواردة عن الأئمّة الأطهارِ)[١١]، ووصفه الشّيخُ عبّاس القمّيّ بالقول: (كتابٌ جليلٌ في الغايةِ، كثير النّفع)[١٢].

وحسناً فعلَ الشّيخ فوزي السّيف في توصيفِ منهج صاحب الحدائق حين قالَ: (حاولَ المحدّث البحرانيّ (رحمه الله) فض النّزاع مِن الخارجِ بين

الأخباريين والأصوليينَ، بعد ما رأى أنَّ الإعراضَ عن الخوضِ فيه أولى، ثم يبدو أنّه وضع منهجه في الحدائق على هذا الأساسِ، وقد أفلحَ فيه، ولعلَّ هذا ـ بالإضافة إلى قوّته العلميّة وتتبّعه الرّوائيّ ـ جعل كتابَ الحدائقِ حاضراً بقوّة في الحوزاتِ العلميّةِ ـ الأصوليّةِ ـ ولا يستغني عنه الفقهاء عادةً، إما بالتّأييد أو النّقد، فلم يكن رأي صاحبِ الحدائقِ بالرّأي الذي يسكت عنه أو يعرض عنه!)[١٣].

منهجُ البحرانيِّ في هذا الكتابِ مِن النّاحيةِ الشّكليّةِ التّرتيب الفقهيّ المتعارف ابتداءً من أبوابِ العبادات من: طهارة وصلاة وزكاة إلى آخر أبواب المعاملات. والكتابُ دورةٌ فقهيّةٌ متكاملةٌ في الفرائضِ والسّننِ، ويحوي على فروع الفقهِ جميعها، (في طيِّها الأقوال والآراء وأصول الدّلائل، وحوت بين دفّتيها جميع ما وردَ من الأحاديثِ عن الصّادق الكريم وأئمّة العترة الطّاهرة ـ (صلوات الله عليه وعليهم) ـ في الأحكامِ الشّرعيّةِ، وقد انبرى لكلمات الفقهاءِ وما فهموه من الرّوايات فافتوا بمؤدّى اجتهادهم ونتيجة أنظارهم ومحصّل استنباطهم وافقَ الشّهرة القائمة والإجماع بقسميه أو خالف، ثمّ ضمّ إلى كلِّ رأي أدلّته، وأضاف إلى كلِّ قولٍ مستنده وما يؤيّده ويدعمه، ثمّ حاول نقاشها بما يمكن أنْ يوردَ عليها من نقودٍ ومؤاخذاتٍ، فإن تمّ عنده دليل ورأى الشّبهة مزيّفة ردّها وأبطلها، وأحكم الدّليل وأثبته، واختار ما أدّى إليه اجتهاده)[١٤].

درج الشّيخ يُوسف البحرانيّ في هذا الكتاب على مناقشة آراء من سبقه من الفقهاءِ، فهو وإنْ يصرّح بنقل الإجماعِ والشّهرةِ إلاّ أنّه يناقشُ مبانيهم ويردّها حتّى يصلَ إلى ثمرة النّزاعِ، ومِن ثمّ يحكمُ برأيه العلميِّ في المسألةِ الفقهيّةِ، ومن ذلك مسألة (الشكِّ في النّية) إذ يعرضُ البحرانيّ مناط البحث بنحو من التّفصيل[١٥].

ومن مسلكِ الشّيخ البحرانيّ في كتابه (الحدائق) وضع اثنتي عشرة مقدّمة تأسيسيّة في غاية التّحقيق والنّفع، وهي مفاتيحُ مهمّة لمنهجِه الفقهيِّ، وتمثل ضوابط في أصولِ الفقهِ، ونظرته إلى مصادرِ التّشريعِ.

ومن سماتِ هذه الموسوعةِ الفقهيّةِ التّطرقِ إلى مسائل مهمّة لم يناقشها فقهاءُ ذلك الزّمانِ في مدوناتهم الفقهيّة، ومِن ذلك:

١. حكم عيد النّوروز

حارَ أهلُ الفقاهة في تحديد يوم نوروز، فذُكرت في هذا الباب محاولات متعدّدة لذلك وأقوال كثيرة، ورُوي كونه يوم خروج الإمام المهديّ عليه السلام، ورحمَ اللهُ الشّيخ يُوسف البحرانيّ حينما نصّ بعد أن استعرض هذه المحاولات والأقوال قائلاً: (ولا يخفى ما فيه على الفطن النّبيه، فإنّ إثبات الأحكام الشّرعيّة بأمثال هذه الوجوه التّخريجيّة الوهميّة لا يخلو من مجازفةٍ، سيما مع ما فيها من الإختلالِ الذي لا يخفى على مَن خاضَ بحار الإستدلالِ، وليس في التّعرّض لنقضها كثيرُ فائدة مع ظهورِ الحالِ فيما ذكرناه، ولا أعرف لذلك دليلاً شرعيّاً ولا مستنداً مرعياً غير مجرّد اتّفاق النّاس على ذلك»[١٦].

أقول إنَّ قضيّة نوزوز قضيّةٌ مخوفة النّاحيةِ طامسةُ السّبيلِ، فتلك عادةُ توارثها القوميون في بلادِ فارس ومناطق الكردِ، وليس لها أصلٌ في المنظومةِ

الإسلاميّة. وحسناً فعلَ الشّيخُ يُوسف البحرانِيّ في إرجاءِ تلك العادة إلى ما تعارفه النّاسُ، وليس لها أصلٌ في التّشريعِ.

٢. كرويّة الأرض

نجد المحدّث البحرانِيّ الخبير المطّلع على التّراث الإماميّ بشكل عميق جـدّاً، يخلصُ بعد مناقشته لآراء مَن ذهبَ إلى كرويّتها إلى القولِ: (وبالجملةِ: فبطلان هذا القول [أي: كرويّة الأرض] بالنّظر إلى الأدلّة السّمعيّة والأخبار النّبويّة أظهر من أنْ يخفى، وما رتّبوه عليه في هذه المسألةِ من هذا القبيلِ، وعسى أنْ ساعد التّوفيق أنْ أكتب رسالةً شافيةً مشتملةً على الأخبارِ الصّحيحةِ الصّريحةِ في دفعِ هذا القولِ إنْ شاء الله تعالى)[١٧].

ولا بُدَّ لي -قبلَ مغادرةِ هذه النقطة من البحثِ- من الإشارةِ إلى مرتكزين:

الأوّل: أنَّ ما سَبَقَ بيانهُ من الشّيخ البحرانِيّ في مسألةِ تأليفِ رسالة في إنبساط الأرض، وعدم كرويّتها، لم تصلْ إلينا هذه الرّسالة في هذا المضمارِ.

الثّاني: أنَّ إستظهارَ النّصوصِ المأثورة من أخبارِ الرّوايات تساعدُ على ما ذهبَ إليه البحرانِيّ، وهو يناسبُ عصرَه الذي يهيمنُ عليه هذا التّفكير.

تنبيهات على كتاب الحدائق النّاضرة

التّنبيه الأوّل: لم يمهلِ القدرُ الشّيخ البحرانيّ لإكمال كتابه (الحدائق النّاضرة)، إذ أكمل أربعة وعشرين جـزءاً، ووصـلَ فيه إلى كتابِ الظّهارِ، فتصدّى تلميذُه الشّيخ حُسين آل عُصفور البحرانيّ في تكملةِ هذا الكتابِ، واسماه (عيون الحقائق النّاضرة في تتميم الحدائق النّاضرة، وهو يحوي على تسعة من كتبِ الفقهِ، وهي: الظّهار، الإيلاء، اللعان، العتق، الإقرار، الجعالة، الأيمان، النّذر، الكفارات[١٨].

ومن نافلة القول الإشارة الى ملاحظتينِ:

- الأوّلى: شتانَ ما بين أسلوبِ الشّيخ يُوسف البحرانِيّ والشّيخ حُسين آل عُصفور من حيث الأسلوب والبراعة في تشقيقاتِ المسألةِ الفقهيّةِ، ولكن تبقى القيّمة الاعتباريّة للشّيخ حُسين في هذا المجهودِ العلميِّ.
- الثّانية: ما ذكره السّيّد كمال الحيدرِيّ من مقالةٍ مفادها أنَّ جهدَ الشّيخ حُسين آل عصفور يصبح بمرورِ الأيامِ من عملِ صاحب الحدائق[١٩] دعوى دونها خرطُ القتاد، فالكتابُ للمتخصصينَ، ومَن تفوته هذه المسائل فليس من أهلِ التّحقيق والمراجعةِ.

التّنبيه الثّاني: قام الشّيخ خالد العطية بجهدٍ مشكورٍ في إعادةِ هيكلةِ كتاب (الحدائق النّاضرة) في كتابه اسماه (معجم الحدائق النّـاضرة)، وكان هدفُه في هذا العملِ تيسيرَ الرّجوع إلى محتويات كتابِ (الحدائق)، وإرشاد الباحثين إلى مظان المسائلِ الفقهيّة المبحوثة فيه من خلالِ فهرستِها، والتّعرف على طبيعةِ كلِّ مسألة، والوقوف على آراءِ الفقهاءِ في المسائلِ المطروحةِ، وجمع شتات المسائل والمعلومات المتفرقة في الكتاب وربطها بعنوان فقهيّ يصلحُ لأنَّ يكون مدخلاً في دراسةِ الباحثِ، وكذلك تصنيف المسائل والمعلومات المجموعة بعد ربطِها بكلِّ عنوان

فقهيّ، وترتيبها تحته بحيث تشكل منظومة فكريّة مترابطة.

لا ريبَ في أنَّ (الشّيخ العطية) قد بذل جهداً كبيراً، لكن لم يلقَ كتابه الحظوة عند الباحثين لأن منهج البحرانِيّ في التّرتيب لا تشوبه شائبة، وهو منهجٌ واضح المعالم. والوصول الى المبتغى في الحدائقِ أيسرُ من صاحبِ المعجمِ.

ثانياً: الدّرر النّجفيّة في المقتطفات اليوسفيّة

وهو كتابٌ فريدٌ في فنّه، مبسوط العبارة، مشبع الفصولِ، مُحكم الإستدلالِ، منيعِ المطلبِ، حصين المداخلِ، مُسهب الشّرحِ، مُستوعب لأطراف الفنِّ،ومتشعب الأغراض، جامع لشتيتِ المسائلِ الخلافيّةِ، قد استوعب أصول المعارفِ الفقهيّةِ والعقديّةِ والتفسيريّةِ، وأحاط بفروعِها. قد لخصّ فيه قواعدَ العلمِ أحسنَ تلخيصٍ، وحُررت مسائل الكتاب في أفضلِ تحرير، كتبه في مدينةِ النّجف الأشرف.

قال العلّامة أغا برزك الطهرانِيّ أنَّ في هذا المصنَّف: (مسائل معضلة ورسائل ذات دقائقَ لطيفة)[٢٠]. وهو كتابٌ قَيِّمٌ، يحوي على سبعينَ درّةً، تناول فيه الشّيخ يُوسف البحرانِيّ كلّ ما يتعلّق بالمنحى الاستدلاليّ، وأوْرَدَ فيه مباحِثَ جليلةً لا توجَدُ في غيره مجتمعةً، وله فيه آراء قَيِّمةٌ تدلُّ على تضلّعِه في علومِ الفقاهةِ، أثنى عليه المحدّثُ البحرانِيّ بالقول:(فهو كتابٌ لم يعمل مثله في فنّه، مشتمل على تحقيقات رائقة، وأبحاث فائقة)[٢١]، ولم يبعدْ الشّيخ الحائرِيّ عن هذا التّوصيف، إذ قالَ في منتهى المقالِ: (وهو كتابٌ جيّد جدّاً مشتملٌ على علوم ومسائلَ، وفوائدَ ورسائلَ، جامع لتحقيقات شريفة وتدقيقات لطيفة)[٢٢].

وسنقف عند مسألة واحدة من مسائله وهي:

مسألة الجمع بين الفاطمتين:

للشيخ يُوسف البحرانِيّ مبحثٌ نفيسٌ اسماه الصّوارم القاصمة لظهور الجامعين بين ولد فاطمة عليها السلام في كتابه (الدّرر النَّجفيّة)، وكانت تلك المسألة ابتلائيّة بسببِ حديث يُنسب للسّيدة فاطمة الزّهراء عليها السلام ينهى الجمع في نكاح امراتين من نسل فاطمة الزّهراء عليها السلام، فعرض الشّيخ البحرانِيّ لهذه المسألةِ بأسلوبٍ بديعٍ، ووقف على مكامنِ الإستدلالِ، ووضع يدَه على مفصلِ السّدادِ.

وكان للشّيخ البحرانِيّ فضلُ السّبقِ في عرض هذه المسألةِ، وذلك حين يقولُ: (ولا يخفى أنَّ هذه المسألة لم يجرِ لها ذكرٌ في كلام أحدٍ من علمائنا المتقدّمينَ ولا المتأخرينَ، ولم يتعرّضوا للبحث عنها في الكتب الفروعيّة، ولا ذكروا حكمها في الكتب الاستدلاليّة، ولم أقف على قائلٍ بمضمونها سوى شيخنا الشّيخ محمّد بن الحسن الحر العامِلِيّ (قدس سرّه) فإنّه جزمَ بالتّحريم في هذه المسألة، عملاً بالخبر الآتي ذكره)[٢٣].

والخبر الذي يدلُّ على حكم التّحريم يرجعُ إلى ما نقله الشّيخ الطّوسِيّ في تهذيب الأحكام، وهذه عبارته: (عن علي بن الحسن بن فضّال عن السّنديّ بن الربيع عن ابن أبي عمير عن رجل من أصحابِنا قال: سمعته يقولُ:(لا يحلُّ لأحدٍ أنْ يجمعَ بين ثنتين من ولد فاطمة عليها السلام، إنَّ ذلك يبلغها فيشقُّ عليها.

قلت: يبلغها؟ قال: إي والله)[٢٤].

ونلحظ في هذا المقام أنّ الشّيخ البحرانِيِّ يميل إلى الحرمةِ لثبوت المسلكِ الرّوائيِّ عنده وفاقاً لمبناه في تصحيحِ الأخبارِ، ويعتمدُ على معطياتِ علمِ الأصولِ وذلك حين يقول: (وجهُ الإستدلالِ بذلك أنَّ لفظ (لا يحلُّ) صريح في التّحريم فإنّه المعنى المتبادر عند الإطلاق، والتّبادر أمارةُ الحقيقةِ، كما نصّ عليه محقّقو علماءِ الأصولِ، ويؤكده التّعليل بالمشقّة لها صلوات الله عليها، ومِن الظّاهر البيّن أنَّ الأمرَ الذي يشقّ عليها يؤذيها وإيذاؤها محرّم بالاتّفاق لأنّه إيذاء للرّسولﷺ بالحديث المتّفق عليه بين الخاصّة والعامّة:(فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما يؤذيها)[٢٥].

ثم يعطي الشّيخُ البحرانيُّ ضابطاً لغويّاً لطيفاً في تأكيد تلك الحرمة، وذلك بقوله: (لا يخفى على الفطنِ اللبيبِ، والموفّق المصيب، ومن أخذَ مِن القواعدِ المقرَّرة، والضّوابط المعتبرة بأوفر نصيب، أنَّ الواجبَ هو حملُ الألفاظِ على حقائقِها متى أُطلقت، وإنَّما تحملُ على مجازاتِها بالقرائنِ الحاليّةِ أو المقاليّة المُوجبة للخروجِ عن تلك الحقيقةِ لا بمجرّد التّحرّضِ والتّخمينِ، كما هو بيّن لدى الحاذق المكين، إذ لو جازَ ذلك لبطلت جملة القواعد الشّرعيّة)[٢٦].

وما ذكره الشّيخ يُوسف البحرانِيّ في هذا المقامِ لا يخلو من ضعفٍ، فالضّرورةُ العقليّةُ تحكمُ بعدمِ وجودِ علّةٍ ملزمة في هذا التّحريمِ، فكيف يسكتُ جمع العلماء الذين سبقوا الشّيخ البحرانِيّ عن مضمونِ هذا الرّواية، ومدلولها ناهيك أنَّ في السّند عليَّ بن فضال، الذي ورد في المأثور النّهي عن الأخذِ منه[٢٧]، وتلك الرّواية إن صحّت فهي محمولةٌ على الكراهةِ.

ناهيك أنَّ للوحيد البهبهانيّ ردّاً رائقاً في رسالة واضحة البيانِ، ويُنسب لأحدِ العلماءِ رسالة وجيزة في إبطال رأي البحرانِيِّ في هذا الخصوص.

المبحث الثاني: منهج الرّدود والنّقود العلميّة

كان الشّيخُ البحرانِيُّ لا يؤلفُ لمنحى اعتباطيّ، فكانت مؤلفاتُه لغايةٍ قد يذكرها في تصنيفه، أو تستشف مِن النّسقِ المعرفيِّ الذي يحويه الكتاب، وقد ألّف على نمط السّؤال والجواب جرياً على عمله في الإفتاءِ، ووفاقاً مع مهمّته في الإجابة على سؤالات المكلّفينَ، أو الرَّدِّ على إشكالات المعاصرينَ، ومن أهمِّ المؤلفات على هذا النّمط:

- أجوبة الشّيخ أحمد بن الشّيخ حسن الدمستانِيّ البحرانِيِّ.
- أجوبة الشّيخ أحمد بن يُوسف بن عليّ بن مظفر السّيورِيّ البحرانِيّ.
- أجوبة المسائل البهبهانيّة، الواردة من بهبهانَ، سأله عنها السّيّد عبد الله بن السّيّد علوي البحرانِيّ القاطن ببلدة بهبهانَ، وتوجد عند الحجّة السّيّد شهاب الدّين المرعشِيّ النّجفِيّ بقم.
- أجوبة المسائل الخشتيّة، سأله عنها الشّيخ إبراهيم الخشتِيّ.
- أجوبة المسائل الشاخوريّة، سأله عنها السّيّد عبد الله بن السّيّد حسين الشاخورِيّ.
- أجوبة المسائل الشّيرازيّة.

- أجوبة المسائل الكازرونيّة، وردت من كازرونَ من الشّيخ ابراهيم بن الشّيخ عبد النّبيّ البحرانِيّ.
- أجوبة الشّيخ مُحمّد بن عليّ بن حيدر القطيفِيّ، ولعلّها متحدّة مع الّتي تلوها.
- أجوبة المسائل النّعيميّة، سأله عنها الشّيخ محمّد بن عليّ بن حيدر النّعيمِيّ[٢٨].
- وله: الأنوار الحيريّة، والأقمار البدريّة، في أجوبة المسائلِ الأحمديّة، تقرب من مئة مسألة نسبة إلى الحير، وهو الحائر الحسينِيّ على مشرفه السّلام.
- وله ردٌّ متين على الصّوفيّة، ذكره في لؤلؤةِ البحرينِ، اسمّاه (النّفحات الملكوتيّة في الرّدِّ على الصّوفيّة[٢٩].
- وله كتابٌ أسمه (قاطعةُ القالِ والقيلِ في انفعالِ الماءِ القليلِ)، تعرّض فيه للنّقاش العلمِيّ الرّصين مع إمام المعقول والمنقول المحقّق المحدّث الفيض الكاشانيّ(قد)، وحوى على محاورات فقهيّة في غاية الإتقان والتّحقيق[٣٠].
- وله كتاب أسماه (كشف القناع عن صريح الدّليل في الردِّ على مِن قالَ في الرّضاع بالتّنزيل، قال في لؤلؤة البحرين: (وقد تضمّنت أبحاثاً شافية مع المولى العماد مير محمّد باقر الدّاماد حيث أنّه ممّن أختار القول بالتّنزيل، وكتب فيه رسالة نقلنا جملة من كلامه، وبيّنا ما فيه ممّا يكشف عن ضعفه باطنه وخافيه)[٣١]، توجد نسخة مخطوطة منه في مدرسة البادكوبيّ في كربلاء المُقدسة.

وسنعرضُ على هذا المنهج كتابين، الأوّل: أجوبة المسائل البهبهانيّة.

والثّاني: سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد.

أوّلاً: أجوبة المسائل البهبهانيّة

وهومن التّصنيفات المُعتبرة للشّيخ البحرانِيّ، وهو كتابٌ معرفيٌّ يقومُ على مبدأ السّؤال والجواب، وسلكَ الشّيخ البحرانِيّ طريقة الأسئلةِ والأجوبةِ في عَرْضِ قضايا الكتابِ والمناقشةِ فكان يعرضُ المُشكل في سؤال، ثم يتبعه بالإجابةِ عنه. ولأجلِ توضيحِ المباحثِ، وتيسير المادّة العلميّة اتَّبعَ طريقة تقسيمِ الإجابةِ وتجزئتها إلى وجوه وأقسام، ليزولَ الإشكالَ ويَظْهَرُ المقصود. وحوى الكتاب على عشرة أسئلة، سألها الشّيخ عبد الله البلاديّ البحرانِيّ، ولا أعرفُ سرَّ تسميتها بـ(أجوبة المسائل البهبهانيّة)، ولكن غلبةَ الظّنِّ أنَّ تلك المسائل مِن أبوابِ الخلافِ الفقهِيِّ بينه وبين الشّيخِ مُحمّد باقر البهبهانِيِّ.

ويكشفُ هذا الكتابُ عِن المذاقِ الفقهيِّ الأخبارِيِّ للشّيخ يُوسف البحرانِيِّ، وتظهرُ ملكته في تحقيقِ مناطِ الاختلافِ، فهو لا يكتفي بالإجابةِ المختصرةِ بل يتوسعُ في بيانِ مدركِ الحكمِ الشّرعِيِّ متوسلاً بالأخبارِ المتواترة والتّأييدات الاجماعيّة المُحكّمة[٣٢].

ويقع الكتاب في (١٢٠ صفحة)، وحقّق الكتاب أبو أحمد بن أحمد البحرانِيّ.

ثانياً: سلاسل الحديد في تقييدِ ابن أبي الحديد

كتابٌ ألّفه الشّيخ يُوسف البحرانِيّ اقتفى فيه منهجَ السّيّد هاشم بن سُليمان البحرانِيّ التّوبليّ المتوفّى (ت ١١٠٧ هـ) في كتابه (سلاسلُ الحديدِ وتقييد أهل

التّقليدِ) انتخبه من شرحِ ابن أبي الحديد وردّ عليه[٣٣].

يقع الكتاب في مجلدينِ، وهو مصدرٌ مهمّ في النّقد الكلامِيّ، وفي هذا الكتاب مقدّمة نفيسة في غايةِ الإتقانِ تتعلّق بموضوعِ الإمامةِ، وتتبّع البحرانيّ التّناقضات الّتي وقعَ فيها ابن أبي الحديد، وفنّد منهجه الكلامِيّ. والكتابُ يستعرضُ أحوالَ الخلفاءِ والصّحابةِ، وممّا يناسب ذلك ويدخل تحته، ويبيّن مواطنَ الخللِ والمفاسد في كلامِ ابنِ أبي الحديد، والظّاهر أنَّ الشّيخ لم يكمله، بسببِ انشغالِه بكتابِه (الحدائق)، أو أنّه فُقد بسببِ الظّروفِ الّتي مرّ بها الشّيخ البحرانِيّ.

تنبيهات على كتاب سلاسل الحديد

التّنبيه الأوّل: ومن مستحسنِ القولِ اشتباه بعض الأعلام بمسألةِ كتابي السّيّد هاشم البحرانيّ والشيخ يُوسف البحرانيّ، فكلا الكتابين يحملُ اسم (سلاسل الحديد)، وقد تمّ طبع الكتابين، وعلى الرّغم مِن اختيارهما نقد ابن أبي الحديد، لكن المتفحص الدّقيق يحكمُ بأنَّ أسلوبَ الشّيخ يُوسف البحرانِيّ أكثر مداقة، وأطول مراس من كتاب السّيّد هاشم البحرانِيّ.

التّنبيه الثّاني: هنالك ردٌّ لمحمّد أمين السويدِيّ البغدادِيّ على كتابِ (سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد) اسماه (الصّارم الحديد في عنقِ صاحب كتاب سلاسل الحديد) في مجلدينِ[٣٤]، انتصر فيها السّويديّ لابن أبي الحديد، إستعملَ السويديُّ لغةَ التّعسفِ والتّكلّفِ والتّحكّم في مواضعَ كثيرة مِن كتابِه.

المبحث الثّالث: منهج الأمالي والمجالس

يجمعُ العلماءُ في هذا الصّنفِ من التّأليفِ طائفة من جواهرِ التّفسير وزواهر التّأويلِ، ومحاسن الآثارِ، وعيون الأخبارِ، وبدائع حكم يستضيء بنورِها، وجوامع كلم يهتدي بنورها ونفحات قدسيّة، وواردات أشبه، وحكايات شائقة، وأبيات رائقة، وحكمٌ تستحق أنْ تكتبَ، ومناقشات عديدة جرت بينه وبين آخرين، ومباحثات شديدة خطرت لخاطره كما جمع أيضاً طائفة من اللطائف والمواعظ والنّوادر والطّرائف.

وكان الشّيخُ البحرانيّ قد ألّف كتاباً جليلاً في هذا المضمارِ اسماه:

- **أنيس الحاضر وجليس المسافر**

وهو من المؤلفاتِ المعرفيّةِ للشّيخ البحرانِيّ، وهو نمطٌ معتبرٌ في أفانينِ المعرفةِ من فقهٍ وحديثٍ وأدبٍ، اسماه بـ(أنيسُ الحاضرِ وجليس المسافرِ)، لأنَّ (المسافر مع الوحدة يحتاج إلى الأنيس والخاطر مع فقد المسامر يضطرُ إلى الجليس)[٣٥]، وهو متنوعُ المواضيعِ، كتبه تكريماً لابنه[٣٦]، وقد اشتهر باسم **الكشكول**، هو كتابٌ في غايةِ النّفعِ يجمعُ بين الشّعر والتّاريخ والفقه والحديث والأدب، وغير ذلك،وجدير بطلبةِ العلمِ أنْ ينهلوا مِن منهلِه العذبِ[٣٧].

وقد اقتفى الشّيخُ يُوسفُ البحرانِيّ في اختيارِ موضوعاتِ الكتابِ آثار كتاب (الكشكول) للبهائِيّ، واتّبع منهجَهُ في العرضِ، ولكنّه لم يكنْ مُقَلِّدًا له تماماً

في هذا بل أعْمَلَ فكرَهُ فيه فَحَوَّرَهُ، وبَدَّلَ فيه على وَفْقِ ما يراهُ أليقَ في الاختيار، ولكن شهرةَ كتاب البهائِيّ فاقت كلّ المؤلفات الّتي أُلفت في هذا الباب.

ولم يكن تكريمُ ابنه الدّافعَ الوحيد في تأليفه، فكان يستهدفُ رفد طلبة العلومِ الدينيّةِ بالمعرفةِ، وهذا نجده واضحاً في مستهلِ كتابِه حين يقولُ:(فرأيت أنْ أصنع كتاباً متضمّناً لطرائفِ الحكمِ والأشعار مشتملاً على نوادرِ القصصِ والآثار قد حازَ جملة من الأحاديثِ المعصوميّةِ والمسائلِ العلميّة والنّكات الغريبة والطّرائف العجيبّة يروح الخاطر عند الملالِ، ويشحذُ الذّهن عند الكلال جليس يأمن النّاس شرّه يذكر أنواع المكارم والنّهى ويأمر بالإحسان والبر والتّقى وينهى عن الطّغيانِ والشّر والأذى)[٣٨] وجانب الشّيخ يُوسف البحرانِيّ الصّواب في نقل قصة أبي نؤاس مع الغلام[٣٩]، وذلك لتوظيفِ نصوص قرآنيّةٍ مُقدسةٍ في هذه القصّةِ، وقصص أخرى من المغامرات الجنسيّة نترفعُ عن إيرادِها في هذا البحث. وقد اقتفى البحرانِيُّ منهجَ الشّيخ البهائِيّ الذي أوردَ من أمثالِ تلك الحكاياتِ في كتابِه (الكشكول)، وكانت هذه الثّيمةُ تمثل صبغةً عند مؤلفي القرونِ الوسطى، من أمثال ابن كمال باشا(ت ٩٤٤هـ) في كتابه (رجوع الشّيخ إلى صباه)، ونعمة الله الجزائِريّ(١١١٢هـ) في كتابه (زهر الرّبيع)، والشّيخ أحمد محمّد النراقِيّ(ت١٢٤٥) في كتابه (الخزائن).

قد كتبَ الشّيخ يُوسف البحرانِيّ مقالاً رائقاً في هذا الكتاب عن الأصوليين والأخباريين وشدد النّكير على المتطرفينَ مِن الفريقين الذين أوسعوا الشّقة بينهما، وذلك حين يقول:(إلاّ أنَّ الذي ظهر لنا بعد إعطاء التّأمل حقّه في المقام وإمعان النّظر في كلام علمائنا الإعلام هو الإغماض عن هذا الباب وإرخاء السّتر دونه والحجاب، وإن كان قد فتحه أقوام وأوسعوا فيه دائرة النّقض والإبرام، لأن ما ذكروه في وجوه الفرق بينهما جلّه، بل كلّه عند التّأمل لا يثمرُ فرقاً في المقام. والعصر الأوّل كان مملوءاً من المحدثينَ والأصوليينَ، مع أنّه لم يرتفع صيت هذا الخلاف، ولم يطعنْ أحدٌ منهم على الآخر بالإتصاف بهذه الأوصاف، والأحرى والأنسبُ في هذا الشّأن أنْ يقال: إنّ عمل الفرقة المحقة (أيدهم الله بالنصر والتمكين) إنّما هو على مذهب أئمتهم، فإن جلالة شأنهم وسطوع برهانهم وورعهم وتقواهم المشهور، بل المتواتر على مر الدّهور يمنعهم عن الخروج عن تلك الجادّة القويمة والصّراط المستقيم. وإنّا نرى كلاً من المجتهدينَ والأخباريين يختلفون في آحاد المسائل، بل ربّما خالف أحدهم نفسه، مع أنّه لا يوجب تشنيعاً ولا قدحاً، ولم يرتفع صيت هذا الخلاف إلاّ مِن صاحب الفوائد المدنية (سامحه الله تعالى برحمته المرضيّة) وبالجملةِ فالأحسن والأليق في الدّين هو حسمُ هذه المادّة وركوب ما ذكرنا من الجادّة)[٤٠].

وقد أورد الشّيخ البحرانِيّ في كتابه (الكشكول) أحاديثَ لا أصلَ لها في المجاميع الحديثيّةِ منها حديثُ الإختلاجات، والإختلاجات حركة عضو أو البدن غير إراديـة، وحـال البدن معه كحال الأرض مع الزّلزلة عموماً وخصوصاً، وهو مقدمة لما سيقع للعضو المختلج من مرض يكون عن خلط يشابه البخار المحرّك للعضو أو البـدن[٤١]، ومن ذلك:

إذا اعتلجَ الرأسُ واليافوخ: أصابه ملكٌ وشرفٌ ومالٌ وذكرٌ شريف، وإذا اعتلج شق الأس الأيسر: سفر فيه خير أو أنه سرور، وإذا اعتلج الجبهة أصابه خير، أو يخشى عليه من سلطان(٤٢).

وقد أوردها العلّامة يُوسف البحرانِيّ (قد) تلك الإعتلاجات في كتاب الكشكول بمزيدٍ من الاستقصاء، ولم يذكرْ المصدر الذي استقصى منه هذه المعلوماتِ، لذلك فهو غير متقبّل ولا قيّمة علميّة لما أوردَ. ولا يبعد أنّ العلّامة البحرانِيَّ كان في مقام إسداء الفائدة والتّرويح، كما هو شأنُ الكثير ممَّا ذكره في هذا الكتاب، فالكشكول إنَّما ألّف لهذه الغايةِ.

المبحث الرابع: منهج الرّسائل (القصيرة)

ألّف الشّيخ يُوسفُ البحرانِيُّ رسائل قصيرة في مسائل مُشكلة، أو تجميع أشتات موضوع مهمّ، ومن تلك المصنفاتِ:

١. الشّهاب الثّاقب في بيان معنى النّاصب

النّصب مِن المفاهيمِ الطّارئةِ على طبيعةِ الإسلامِ، ومدلول أصله في الوضعِ اللّغويِّ العداء مطلقاً، ثم خُصص بالعداء للإمام علي عليه السلام.

وللشّيخ البحرانِيِّ تحقيقات رائقة لمعنى النّصب في كتابه (الشّهاب الثّاقب في بيان معنى النّاصب) إذ استهلّ ذلك بالقول:(اعلمْ أنَّ النّصبَ لغةً هو العداوة، قال الجوهريُّ: نصبت لفلان نصباً أي عاديته)(٤٣).

ويعقّبُ الشّيخ البحرانِيّ على هذا المؤدّى بقوله: (والظّاهر أنَّه صارَ مجازاً مشهوراً، أو حقيقة عرفيّة في العصرِ الأوّل لكلِّ مَن يبغض علياً عليه السلام)(٤٤).

وكلمةُ الفصلِ أنَّ لفظة (النَّصب) حقيقةٌ عرفيّةٌ أقرب مِن المجاز إذ هي قول خُصّ في العرفِ ببعض مسمّياتِه، وإن كان وُضع للجميع، مثل: لفظ (النّصب) الشّامل بالوضع لكلّ مَن يعادي شيئاً ما، ولكن خُصّص عرفاً بالمعادي للإمامِ علي عليه السلام.

٢. رسالة في تحقيقِ معنى الإسلامِ والإيمان

وهي رسالةٌ موجزةٌ مهمّةٌ أوضحت المعنى الحقيقيّ للإسلام والإيمان، ونقطة الافتراق أنَّ الإيمانَ عبارةٌ عن الإقرار باللسانِ والاعتقاد بالجنانِ والعمل بالأركان(٤٥).

٣. الرّسالة المحمّديّة في أحكامِ الميراث الأبديّة،

وهي رسالةٌ في مشكلاتِ وقضايا الميراث(٤٦)، لم تصل إلينا.

٤. رسالة في حكم العصير التّمريّ والزبيبيّ

وهي مِن المسائلِ الخلافيّةِ بين الفقهاءِ إذ العصير إذا غلى واشتدّ حُرم شربه إلا أنْ يستمرَ الغليان حتّى يذهبَ ثلثاه فيصيرُ كالدّبس أو ينقلب خلاً لطول بقائه ومكثه(٤٧).

٥. رسالة في تقليد الميتِ ابتداءً وبقاءً

وهي من المسائلِ الّتي كثُر الحديث عنها مسألة تقليد الميتِ ابتداءً أو بقاءً، حيث يكثرُ الأخذ والرّد فيها من جهةِ الجواز المطلق، فيجوز التّقليد للميت ابتداءً كما يجوزُ البقاء عليه، لذلك عرض الشّيخُ البحرانِيّ تفصيلات هذا القضيّة بنحو من

الاستدلالِ. ومال الشّيخُ البحرانِيّ إلى جواز تقليد الميت ابتداءً[٤٨].

٦. **الرّسالة الصّلاتية**

وهي رسالةٌ تضمنت أحكامَ الصّلاةِ، وهي مطبوعةٌ، فيها المسائلِ الابتلائيّة كلها في موضوعةِ الصّلاة[٤٩].

المبحث الخامس: منهج البحث الرّجاليّ والحديثيّ

لا يخفى على أهلِ العلمِ والفضلِ ما لتأسيسِ القواعدِ والفوائدِ الرّجاليّةِ من أهمِّيَّةٍ كُبرى، وأثرٍ عظيمٍ وذلك لأنَّ علمَ الرّجالِ مِن العلومِ الّتي للفقيه مسيسُ حاجةٍ إليها، وهذا هو ما اتّفق عليه أهلُ الإجتهادِ.

وقد كتبَ العلّامةُ البحرانِيُّ كتاباً لطيفاً أسمّاه (لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث)، وهو موسوعةٌ رجاليّةٌ مهمّةٌ يعرضُ فيها الشّيخ البحرانِيّ لسيرِ علماءِ المذهب الإماميّ بمزيدٍ من الإهتمام، يسردُ فيه سير أكثر من مئة وثلاثين عالماً من علماء البحرين والعراق وإيرانَ، واللطيفُ في هذا الكتاب أنَّ مؤلّفه ابتدأ بالتّرجمة من معاصريه حتّى زمن الأعلام في القرن الرّابع الهجريِّ، ويشكلُ هذا الكتاب قيّمة معرفيّة وتاريخيّة، إذ فيه أحداث مهمّة من تاريخِ البحرينِ الحديثِ. ويمثِّل هذه الكتاب مَظْهَرَ التّصنيف الرّجاليِّ الأصيل عند العلّامةِ البحرانِيّ، وهي مقدّمةٌ معرفيّةٌ أودَعَها لتكون أساساً مهمّاً لكتابه (الحدائق الناضرة) الفقهِيّ.

ويظهر الشّيخُ يُوسف البحرانِيّ في هذا الكتاب سعة معرفته بالأعلام ومقاماتهم، مع إلماعات تاريخيّة مهمّة واكب الكثير من أحداثها، ودوّن فصولها كشاهد عيان. ولم يقتصر أسلوبُه على عرض ترجمة العلم، بل يتعدّى إلى إبداءِ الرّأي بمنهجيّة موضوعيّة، ويتجلّى ذلك في ترجمةِ [الشّيخ مُحَمّد أمين الإستراباذيّ] وذلك حين يقولُ في توصيفه: (وكان فاضلاً محقّقاً مدققاً ماهراً في الأصوليينَ والحديث أخباريّاً صلباً، وهو أوّل من فتحَ باب الطّعن على المجتهدينَ وتقسيم الفرقة النّاجيةِ إلى أخباريّ ومجتهد، وأكثر في كتابه (الفوائد المدنيّة) من التّشنيع على المجتهدينَ، بل ربّما نسبهم إلى تخريب الدّين، وما أحسنَ وما أجادَ، ولا وافق الصّواب والسّداد، لمّا قد ترتب على ذلك من عظيم الفساد، وقد أوضحنا ذلك بما لا مزيدَ عليه في كتابنا (الدّرر النّجفيّة في الملتقطات اليوسفيّة) وفي كتابنا (الحدائق النّاضرة في أحكام العترة الطاهرة)[٥٠].

تنبيهات على منهج البحرانيّ في كتاب لؤلؤة البحرين

التنبيه الأوّل: قد يقال كيف يكتبُ الشَّيخ البحرانِيّ في علم الرَّجال، والأخباريون لديهم مقولة: (لا نقاش في صحة الأسانيدِ في الكتبِ الأربعة المعتبرة)، إعتماداً على ما نُقل عن المحدّث الأستراباديّ من أنَّ أحاديثنا كُلَّها قطعيّةُ الصُّدور عن الأئمّةعليهم السلام، فلا مسوغَ لملاحظة أسانيد الروايات[٥١].

وقال الشّيخ يُوسف البحرانِيّ: (ولا بأس بذكْرِ طرفٍ من ذلك في هذا الكتاب، حيث إنَّا قد قصدنا

فيه ضرب الصَّفح غالباً عن الكلام في أسانيد الأخبار، والطَّعن فيها بذلك. فرأينا أن نُبَيِّنَ هنا أنَّ ذلك إنَّما هو من حيث ثبوت صحّة تلك الأخبار عندنا، والوثوق بورودها، عن أصحاب العصمة صلوات الله عليهم)[٥٢].

التّنبيه الثّاني: هنالك فرقٌ بين صحَّة الرّوايات ودعوى القطع بصدور الرّوايات عن المعصومين عليهم السلام، مما لا يكاد يخفى، ولعلّ هذا يتضحُ عند الشّيخ يُوسف البحرانيَّ على مستوى التَّطبيق، فهو وإن كان المبنى النّظريّ عنده مخالفاً لمنهجه في التّطبيق، فحين يرجّح بعض الأحاديثِ لتواترها فهو يسايرُ جماعة المجتهدين في هذا المضمار.

وأهتمّ الشّيخ يُوسف البحرانِيّ بالحديث، حتّى سمِّي لكثرةِ إهتمامه بهذا الأمر بـ (المحدِّث)، ولكن الذي يلفت النّظر عدم إفراده مؤلفات حديثيّة مهمّة قياساً لمؤلفاته الأخرى، ومن أهمِّ الكتب الّتي ألفها في هذا المضمارِ:

١. الأربعون حديثاً في مناقبِ أميرِ المؤمنينَ (عليه السّلام).

وهو كتابٌ في الأحاديث الّتي تخصُّ فضائل الإمام عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام إستخرجه من كتبِ الجمهورِ، ذكره أغا مُحسن الطهرانِيّ في كتابه (الذّريعة إلى تصانيفِ الشّيعةِ)،إذ قال فيه:(يقرب من ألف بيت، أوّل أحاديثه مستخرجٌ من شرح المقاماتِ للمطرزِيِّ، يوجدُ في مكتبة سردار كابليّ)[٥٣].ومسألة الأربعون حديثاً سمة منهجيّة في كتابات العلماء، فمنهم من جعل تلك الكتب بمنحى أخلاقيّ كما في كتاب الأربعون حديثاً للشّيخ البهائيّ أو ذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام كما في هذا المصنّف.

٢. معراج النّبيه

وهو كتابٌ مهمٌّ في شرح كتاب (من لا يحضره الفقيه) لشيخِ المُحدّثين محمّد بن علي القمِيّ المعروف بالشّيخ الصّدوق(قد)، وهو مِن الكتبِ الّتي فُقدت، ولم تصلْ إلينا في نسخة مخطوطة.

٣. حاشية على الوافي

وهو شرح كتاب الوافي للمحدّث الفيض الكاشانيِّ، وكتاب الوافي كتابٌ حديثيٌّ جمع فيه أحاديث الكتب الشّيعيّة الأربعة المُعتبرة. ولم يزدْ فيها شيئاً سوى التّنظيم والتّرتيب، فقد ألّفها حسب أبوابِ الفقهِ، وشرح أحاديثها شرحاً وافياً. يحتوي الكتاب على نحو خمسين ألف حديث واقتصر الشّيخ البحرانِيّ التّعليقة على كتاب الصّوم[٥٤]، وهو الجزءُ الثّاني منه. والشّرحُ مفقودٌ.

الخاتمة

بعدَ هذهِ الجَولة، أوّدُّ أنْ أضعَ عدداً مِنْ ثمارِ البحثِ الّتي توصّلت إليها الدّراسة، وهي الآتيةُ:

- أفْصَحَت الدراسة عن الرغبةِ في إماطةِ اللّثامِ عِن منهجيّة متفرِّدة لِعَلَمٍ مِن أعلامِ الإماميّة المبرزينَ، وكَشْفت النّقاب عن جهودِه المتميِّزة في أفانينِ المعرفةِ.
- تقليبُ النّظرِ، وإنعامُ الفِكْر في بعضِ آراءِ الشّيخِ البحرانِيِّ بغية إعطاء صورة عن مناطق الاشتغالِ المعرفِيّ.

- منهجيّةُ التّأليف عند الشّيخ البحرانيّ واضحةُ المعالم، باديةُ القَسَمات، متنوعة المشارب. والوحدة العضويّة فيما بَحَثَه من الموضوعات ظهرت متميِّزةً مبدِعةً.
- الباعثُ الرّئيسُ على تأليفِ مُعْظَم كتبه مختلفة العللِ فمنها معرفِيٌّ، وبعضها تحقيق حاجة لبعضهم، وبعضها لردِّ شبهات عقديّة، أو مواجهات علميّة.
- وثمّةَ مظهر تجديديّ نلمسُهُ في مؤلفات الشّيخ البحرانيّ وهو ولوعه باقتناص النّكات الفقهيّة والعقديّة واللّغويّة.
- أبدى البحث توجيهات معرفيّة لمسلك السويديّ في نقده لكتاب سلاسل الحديد، ومنهج خالد العطية في (معجم الحدائق النّاضرة).

الهوامش

(١) منتخب لؤلؤة البحرين، عبد الباقي المجلسيّ: ٨٩.

(٢) تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره، الشيخ جعفر سبحاني: ٤٠١.

(٣) منتهى المقال، الحائري: ٧/ ٥٧.

(٤) ينظر: تاريخ الفقه الإسلامي وأدواره، الشيخ جعفر سبحاني: ٤٠٢.

(٥) القاموس المحيط، الفيروزآباديّ: ١/ ٣٩١-٣٩٢.

(٦) فصول في علم اللّغة العام: ٨٦.

(٧) مناهج الفقهاء في المدرسة الإماميّة، زهير الأعرجيّ: ٣.

(٨) لؤلؤة البحرين: ٤٤٦.

(٩) لؤلؤة البحرين: ٤٤٧.

(١٠) الرّوضة البهيّة: ٢٥.

(١١) منتهى المقال: ٧/ ٥٧.

(١٢) الفوائد الرضويّة، الشّيخ عبّاس القميّ: ١٢٢.

(١٣) في ذكرى وفاته/ المحقق البحراني جامع المدرستين: فوزي السّيف: ٣.

(١٤) مناهج الفقهاء في المدرسة الإماميّة، زهير الأعرجيّ: ٤.

(١٥) ينظر: أجوبة المسائل البهبهانيّة، الشيخ يوسف البحرانيّ: ٣٥.

(١٦) الحدائق الناضرة: ٤/ ٢١٦.

(١٧) الحدائق الناضرة: ١٣/ ٢٦٧.

(١٨) ينظر الحدائق النّاضرة: ١/ ٣٥.

(١٩) https://youtu.be/omnFK-WVRqE.

(٢٠) الذّريعة إلى تصانيف الشيعة: ٨/ ١٤٠.

(٢١) لؤلؤة البحرين: ٤٦٥.

(٢٢) منتهى المقال: ٧/ ٥٨.

(٢٣) الدرر النجفيّة من الملتقطات اليوسفيّة: ٣/ ٥٠.

(٢٤) تهذيب الأحكام، الشّيخ الطّوسيّ: ٧/ ٤٦٣.

(٢٥) صحيح البخاري - المناقب - مناقب قرابة رسول الله ﷺ - رقم الحديث: ٣٤٣٧، وينظر: علل الشرائع: ١/ ١٨٥.

(٢٦) الدرر النّجفيّة من الملتقطات اليوسفيّة: ٣/ ٥٩.

(٢٧) ينظر: وسائل الشيعة، الحر العامليّ: ٢٧/ ١٤٢.

(٢٨) الشهاب الثاقب، مقدمة المحقق: ٢٣.

(٢٩) لؤلؤة البحرين: ٤٤٧.

(٣٠) الحدائق النّاضرة: ١/ ٢٩.

(٣١) لؤلؤة البحرين: ٤٤٨.

(٣٢) أجوبة المسائل البهبهانيّة: ١٨.

(٣٣) لؤلؤة البحرين: ٥٤. وينظر سلاسل الحديد: ١/ ١٢.

(٣٤) الأعلام، خير الدّين الزركلي: ٨/ ٢١٥.

(٣٥) كشكول البحراني ١/ ٧.

(٣٦) كشكول البحراني:١/ ٦.

(٣٧) كشكول البحراني ١/ ٦.

(٣٨) كشكول البحراني:١/ ٧.

(٣٩) كشكول البحراني:٣/ ٨٣.

(٤٠) كشكول البحراني: ٢/ ٦٧.

(٤١) كشكول البحراني ٢/ ١٠٨.

(٤٢) كشكول البحراني:٢/ ١٠٩.

(٤٣) الشهاب الثاقب في معنى الناصب: ٩٨.

(٤٤) الشّهاب الثاقب في معنى الناصب:٩٨.

(٤٥) لؤلؤة البحرين ٤٤٧.

(٤٦) الحدائق الناضرة:١/ ٤٦.

(٤٧) الحدائق الناضرة: ١/ ٤٦.

(٤٨) www.alobaidan.org/?p=5373.

(٤٩) طُبعت هذه الرسالة بتحقيق أبي أحمد بن أحمد بن خلف البحراني.

(٥٠) www.alwasatnews.com/news/728807.html.

(٥١) توضيح المقال في علم الرّجال:٤٧.

(٥٢) لؤلؤة البحرين:٢٣٣.

(٥٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١/ ٤٣١.

(٥٤) الحدائق النّاضرة في أحكام العترة الطّاهرة:١/ ٢٦.

المصادر والمراجع

١. أجوبة المسائل البهبهانيّة، الشّيخ يُوسف البحرانِي ّ(ت ١١٨٦هـ)،تحقيق: أبو أحمد بن أحمد بن عصفور البحرانِيّ، مطبعة المعمورة، قم-إيران، ط١، ١٤٠٦هـ.

٢. الأعلام، خير الدّين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.

٣. أنيس المسافر وجليس الخاطر المسمّى بالكشكول، الشّيخ يُوسف البحرانِيّ، دار المحجّة البيضاء، بيروت – لبنان، ٢٠٠٨م.

٤. تاريخ الفقه الإسلاميّ وأدواره، الشّيخ جعفر سبحانيّ، تحقيق: جعفر الدجيليّ، دار الأضواء، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

٥. تهذيب الأحكام، الشّيخ محمد بن الحسن الطّوسيّ، مكتبة الصدوق، قم – إيران، ١٤١٧هـ.

٦. توضيح المقال في علم الرّجالِ، الملا علي كني، مطبعة أمير، قم– إيران، ١٤١٢هـ.

٧. الحدائق النّاضرة، الشّيخ يوسف البحرانيّ، مؤسسة النّشر التّابعة للمدرسين، قم – إيران، ١٣٦٣هـ.

٨. الدّرر النّجفيّة من الملتقطات اليوسفيّة، الشّيخ يُوسف البحرانيّ، مكتبة فخراوي، المنامة – البحرين، ٢٠٠٧م.

٩. الذّريعة الى تصانيف الشّيعة: أغا بزرك مُحسن الطهرانِيّ، دار الأضواء، بيروت – لبنان،١٩٩٩م.

١٠. الرّسالة الصّلاتيّة، الشّيخ يُوسف البحرانِيّ، دار العصمة، المنامة – البحرين، ٢٠٠٧م.

١١. الروضة البهيّة في الإجازات الشفعيّة، محمّد شفيع الموسويّ الجابلقيّ البروجرديّ، مؤسسة تراث الشّيعة، قم – إيران، ١٤١١هـ.

١٢. سلاسل الحديد في تقييد ابن أبي الحديد، الشيخ يُوسف البحرانيّ، تحقيق: محمد عيسى مكباس، دار العصمة، المنامة– البحرين ٢٠٠٥م.

١٣. الشهاب الثاقب في معنى الناصب، الشيخ يوسف

البحرانيّ، تحقيق: مهدي الرجائي، مطبعة أمير قم، قم٠-إيران، ط١، ١٤١٩هـ.

١٤. صحيح البخاري، محمّد بن إسماعيل البخاريّ (ت٢٥٦هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان، ط٢، ٢٠٠٥م.

١٥. علل الشرائع، لمحمّد بن علي المعروف بالشّيخ الصدوق (ت ٣٨١هـ)، دار المحجّة البيضاء- بيروت - لبنان، ٢٠٠٧م.

١٦. فصول في علم اللُّغة العامّ، الدكتور محمّد علي عبد الكريم الرّدينيّ، عالم الكتب، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

١٧. الفوائد الرضويّة، الشيخ عبّاس القمي، دار الهجرة، قم - إيران، ١٤١٩هـ.

١٨. القاموس المحيط، مجد الدين محمّد بن يعقوب الفيروزآباديّ (٨١٧هـ)، تحقيق محمّد عبد الرحمن المرعشليّ، دار إحياء التّراث العربيّ ومؤسسة التاريخ العربيّ، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

١٩. لؤلؤة البحرين، الشّيخ يوسف البحرانِيّ، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم. مؤسسة آل البيت عليهم السّلام للطباعة والنشر، قم - إيران ١٤٢٣هـ.

٢٠. مناهج الفقهاء في المدرسةِ الإماميّةِ، زهير الأعرجيّ، المركز الإسلاميّ للدراسات الاستراتيجيّة، مجلة ترانا، العدد ١٠٢، السنة السادسة والعشرون، ١٤٣١هـ.

٢١. منتخب لؤلؤة البحرين، عبد الباقي المجلسِيّ، دار الهجرة، قم - إيران، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٢. منتهى المقال في أحوال الرّجال: لأبي علي مُحمّد بن إسماعيل الحائريّ، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم - إيران، ط١، ١٩٩٨م.

٢٣. وسائل الشّيعة، الحر العامليّ، مؤسسة دار آل البيت لإحياء التّراث، قم - إيران، ط٢/ ١٤١٤هـ.

المواقع الالكترونيّة:

١. **https://youtu.be/omnFK-WVRqE.**

2. **www.alobaidan.org/?p=5373.**

3. **www.alwasatnews.com/news/728807.html.**